الموضوع الأول: نظرية الحقنة تحت الجلد (القذيفة السحرية) و فكرة التأثير المباشر

1- تمهيد: تعتبر العديد من المؤلفات و الدراسات التي ظهرت خلال العقود الأولى من القرن العشرين من أهم مظاهر البحث في مجال الاتصال و الإعلام الجماهيري، فقد ألهمت الحربين العالميتين باحثين من مجالات علمية مختلفة للاهتمام بالدعاية، و الرأي العام و الإقناع، كما شهد القرن العشرين تنامي الاهتمام على امتداد القرن العشرين بدراسة الكيفيات التي تؤثر بها وسائل الإعلام الجماهيرية على الأفراد و المجتمعات، و طبيعة تلك التأثيرات و اتجاهاتها، كما تعرض مفهوم الجمهور خلال هذه المرحلة على غرار المفاهيم الأخرى الخاصة بحقل الإعلام و الاتصال و العلوم الاجتماعية و الإنسانية إلى كثير من التحديث بتأثير عوامل عديدة.

لذا، فقد وجد الباحثون أن الجدل حول تأثيرات الإعلام قد مر بعدد من المراحل، حيث أسندت الاتجاهات البحثية الأولى في هذا المجال تأثير قوي و مباشر لوسائل الإعلام الجماهيرية على أفراد الجمهور بناءا على محددات خاصة لمفهوم ذلك الجمهور الذي كانت تقصده في المراحل الأولى مثل خاصية العزلة التي تعتبر من أهم السمات التي تميز أفراده، و ذلك استنادا إلى الأفكار التي قدمها مفهوم المجتمع الجماهيري، و هو ما تم إيجازه في مفهوم نظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد.

2- بلورة نظرية الحقنة تحت الجلد:

ظهرت هذه النظرية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، و قد قدم "**هارولد لاسويل**" أفكارها التي تتمحور حول الدور التأثيري لوسائل الاتصال الجماهيري على الرأي العام في الدراسة الموسومة **بتقنيات الدعاية خلال الحرب العالمية Propaganda thechniques in the world war** في عام 1927، وجاءت نتيجة لاستخدام وسائل الاتصال الالكترونية في الحرب العالمية الأولى، و تأثير الإذاعة و الحرب النفسية التي شنتها دول الحلفاء ضد ألمانيا.

تقوم هذه النظرية على اعتقاد ملخصه أن جمهور وسائل الإعلام الجماهيرية الحديثة الظهور و التطور عبارة عن مجموعة من الناس يتأثرون على انفراد بوسائل الإعلام التي يتعرضون لها، و أن رد الفعل إزاءها تجربة فردية أكثر من كونه تجربة جماعية، و تفترض أن لوسائل الإعلام تأثير مباشر و قوى على أفراد الجمهور مثل تأثير الحقنة التي تؤخذ تحت الجلد، و هو تأثير يكاد يبلغ حد الهيمنة.

صاحب هذا الاعتقاد وجود إيمان قوي بأن وسائل الإعلام قادرة على تحديد الفكر و دفع الأفراد إلى التصرف وفقا لأسلوب معين تسعى إلى تحقيقه، سواء كان ما تهدف إلى إحداثه من تأثير ايجابيا كزيادة المعلومات أو سلبيا كخلق أو تدعيم اتجاهات العنف.

3- أهم فرضيات النظرية:

- إن وسائل الإعلام تقدم رسائلها إلى الأعضاء في المجتمع الجماهيري الذين يتلقونها بشكل مباشر و فردي و بدون وسيط و يدركونها بشكل متقارب.
- إن هذه الرسائل تقدم مؤثرات أو منبهات تؤثر في مشاعر و عواطف الأفراد بقوة.
- أن هذه المنبهات تقود الأفراد إلى الاستجابة بشكل متماثل إلى حد ما، و تخلق تغييرات في التفكير و الأفعال بشكل متماثل عند كل الأفراد.
- إن رد الفعل أيضا فردي ولا يعتمد على تأثير المتلقين على بعضهم.
- إن تأثيرات وسائل الإعلام قوية و متماثلة و مباشرة، و يرجع ذلك إلى ضعف وسائل الضبط الاجتماعي مثل التقاليد و العادات المشتركة.

4- الخلفية الفكرية لنظرية الحقنة تحت الجلد:

يشكل الفكر الاجتماعي و النفسي السائد خلال البدايات الأولى من القرن العشرين الخلفية النظرية التي ارتكزت عليها فرضيات نظرية الطلقة السحرية، و من بين النظريات التي أثرت في بلورة مفاهيم و أفكار نظرية الطلقة السحرية نجد نظرية المجتمع الجماهيري التي تعتبر كميراث لنظريات المجتمع التي سادت خلال القرن التاسع عشر، و النظريات السلوكية التي واكبت أيضا نظريات الاتصال الجماهيري بتوجيهها إلى التركيز على الجانب الفردي في السلوك، مما جعل الباحثون و الخبراء في مجال الإعلام و الاتصال و الدعاية يأخذون بالفرد في جمهور وسائل الإعلام بوصفه فردا منعزلا يتأثر أوتوماتيكيا بما يوجه إليه من رسائل إعلامية و لا يتأثر بمن من حوله من أفراد أو جماعات، و أن عمليات الاستجابة لا تخضع إلى تأثيرات العمليات العقلية في المعرفة و الإدراك.

أ- تبني أفكار نظرية المجتمع الجماهيري

" كانت صورة المجتمع مع بداية القرن العشرين حسب التصور الذي قدمه علماء الاجتماع على صورة مجتمع متغير من مجتمع يخضع لنظام اجتماعي تقليدي مستقر يرتبط فيه الناس ارتباطا وثيقا إلى مجتمع يتميز بتعقيد أكبر، حيث ينعزل فيه الأفراد اجتماعيا عن بعضهم البعض نظرا لارتفاع حجم التمايز و الفردية، و انخفاض الدرجة التي يستطيع فيها المجتمع السيطرة فيها بشكل فعال على أفراده من خلال الوسائل غير الرسمية، و تحولهم عن التكيف مع المجتمع، مع زيادة العلاقات الجزئية و الاجتماعية التعاقدية، بالإضافة إلى زيادة العزلة النفسية للأفراد، مما ساهم في ظهور المجتمع الجماهيري".

يرمز المجتمع الجماهيري إلى العلاقة القائمة بين الأفراد و النظام الاجتماعي المتعلق به، و من أهم سماته كون الأفراد فيه يتسمون بالعزلة النفسية عن الآخرين، و انعدام المشاعر الشخصية لديهم عند تفاعلهم مع الغير، بالإضافة إلى تحررهم النسبي من الالتزامات الاجتماعية العامة.

إن هذه السمات التي كانت تطبع الأفراد الذين يعيشون في تنظيم المجتمع الجماهيري جعلتهم يشعرون بالوحدة و القلق، و هذا ما يجعلهم يلجؤون إلى وسائل الإعلام الجماهيرية كبديل عن الجماعات الاجتماعية و العلاقات الشخصية كأدوات تساعدهم على التخلص من التوتر و القلق.

تعكس هذه الأفكار وجهة النظر التي كانت سائدة آنذاك و التي تنظر إلى جماهير وسائل الإعلام على أنهم أفراد سلبيون يمكن التأثير عليهم مباشرة بواسطة وسائل الإعلام، فالجماهير هي مجرد ذرات منفصلة من كتلة ملايين القراء و المستمعين و المشاهدين مهيئون دائما لاستقبال الرسائل التي تشكل كل منها منبها قويا و مباشرا يدفع المتلقي إلى القيام بشيء معين يسعى القائم بالاتصال إلى تحقيقه.

ب- تبني أفكار النظريات السلوكية:

ظهرت نظرية الحقنة تحت الجلد متأثرة أيضا بالمفاهيم التي جاءت بها النظرية النفسية الشائعة في تلك الفترة و المتعلقة بالمنبه و الاستجابة التي تفترض أن لكل فعل رد فعل، و اعتبرت نظرية الحقنة تحت الجلد رسائل وسائل الإعلام منبهات يتعرض لها أفراد الجمهور و يستجيبون لها بشكل أو بآخر.

ظهرت هذه الاتجاهات السلوكية في علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقد الثاني من القرن الماضي، و تأثرت بتجارب "**جون واطسون**" الذي أنتهى إلى أن الفعل الإنساني غالبا ما يكون استجابة لمثير خارجي.

أصبحت هذه النظرية تعرف بالسلوكية، و تركز على السلوك الإنساني المنعزل، و أصبحت تسمى بعد تطورها من خلال مجهود علماء النفس و علم النفس الاجتماعي بنظريات المثير و الاستجابة أو نظريات التعلم التي تهتم جميعها بالسلوك الفردي في علاقته بالمثيرات الخارجية.

يهتم أصحاب نظرية التعلم بتحليل السلوك في إطار ما تعلمه الفرد في الماضي و من خلال ميكانيزمات عملية التعلم، و يفترضون أن إعادة تقديم ما تعلمه الفرد بنفس الظروف التي تعلم فيها سوف يؤدي إلى نفس الاستجابة.

ب- 1 – طرق استجابة الفرد حسب نظرية التعلم:

أ- **تداعي المعاني و الأفكار أو التزامن:** فالفرد يستجيب شرطيا لمثير متزامن مع آخر يستدعي الاستجابة السلوكية كلما حدث هذا المثير الأخير، مثل تجربة "**بافلوف**" و استدعاء الصور السلبية عن الآخرين كلما وردت كلمة تشير إليهم.

ب- التعزيز أو التدعيم: فالفرد يتعلم أن يستجيب بطريقة معينة لمنبه خارجي متبوع بشيء يبعث على الرضا أو الشعور بالسعادة، بينما قد يتجنب هذه الاستجابة أو السلوك إذا كان متبوعا بجزاء سلبي.

ت- المحاكاة: فالأفراد غالبا ما يكتسبون الكثير من العادات السلوكية من خلال ملاحظة المركز أو الشخصيات أو القائمين بدور داخل الجماعات مثل الطفل الذي يكتسب الكثير من العادات السلوكية من خلال ملاحظة سلوك والده.

5- مظاهر التأثر بهذه النظريات في مجال الاستجابة إلى الرسائل الإعلامية:

أ- تطبيق نظريات التعلم التقليدي بشكل موسع في الأعمال الدعائية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين و فترة الحرب نفسها، في استثارة الناس ضد الألمان من خلال عرض بعض الصور التي تستدعي إلى الذاكرة جرائم النازية.

كانت وسائل الإعلام في هذه الفترة هي الوسائل المتاحة للاتصال بأفراد جمهور وسائل الإعلام، بما كانوا يوصفون به من خصائص و صفات معينة، نتيجة هذه النظريات الخاصة بالمجتمع الجماهيري و تطبيق نظريات التعلم في تقديم المثير و توقع الاستجابة.

ب- الاعتقاد البالغ في قوة تأثير وسائل الإعلام و قدرتها على تشكيل الرأي العام و التأثير في أفكار الجماهير و اتجاهاتهم. فعندما تطلق وسائل الإعلام رسائلها، يتلقاها مباشرة الجمهور على الجانب الآخر، و من هنا ظهرت نظرية قوة وسائل الإعلام غير المحدودة، و يطلق عليها نظرية الطلقة في كتابات "**ولبور شرام**" و الحقنة تحت الجلد في كتابات "**دافيد بيرلو**"، (وشبهت الرسالة هنا بالمحلول الذي يحقن به الوريد و يكون تأثيره قوي و لا يمكن الفكاك منه) أو القذيفة السحرية أو المثير و الاستجابة في كتابات "**ميلفين ديفلور**".

ت- تأثرت بهذه النظريات البحوث و الدراسات الإعلامية التي تمت في هذه الفترة على استجابات الجمهور إلى وسائل الإعلام و مفرداتها و محتواها.